

# إرضاء الخلق في معصية الخالق





## إرضاء الخلق

## في معصية الخالق

لأشكُّ أن إرضاء الخلقِ في معصية الخالقِ يُفقدُ الإنسانَ رضى ربه،  
ويُبعده عن ولايته ونصره.

ومن اتبع ما أسخط الله، وكره رضوانه، ضلَّ سعيه، وحبط عمله.  
ومن أرضى الله أغناه الله برضاه، وكفاه، ولم يجعل حاجته لأحدٍ  
سواه.

و « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »<sup>(1)</sup>.

وكثيراً ما يسعى الناسُ لمرضاة غيرهم في معصية الخالق؛ طلباً  
لمنفعة عاجلة ينشدونها لأنفسهم، أو يدخرونها لمن وراءهم.  
والويلُ - كلُّ الويلِ - لمن ترك عياله بخير، وقدم على ربه بشر.  
ولذا وجب أن يُراقبَ الإنسانُ نفسه، وأن يُصلح نيته، ويمسك  
لسانه؛ حتى لا يقع فيما يُغضبُ الله، أو يجلب سخطه.

« وَرَجِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ »<sup>(2)</sup>.

ولو استطاع الإنسانُ مع نفسه أن يمسكها عما يُرديها ويُنقصها،  
لكانَ من أوَّلِ ذلك ألا يكون "إمعة" يقول: « إن أحسن الناسُ أحسنتُ،  
وإن أساءوا أسأتُ » فإنَّ هذه التبعية والمطاوعة - دونَ نظرٍ وتدبرٍ - تجعل

(1) رواه أحمد (١٠٩٥) وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) شعب الإيمان: ٢٤١/٤.

## في روضة القرآن

الإنسان مُتَّبِعاً لأهواء الناس، لا للحق الذي أمرَ بِاتِّبَاعِهِ.  
وَمَنْ اتَّبَعَ أَهْوَاءَ النَّاسِ - بغير هُدًى من الله - هَلَكَ بهلاكهم، وخَسِرَ  
بِخَسْرَانِهِمْ.

والرسول ﷺ يَنْهَانَا عن المطاوعة المطلقة دون حدود أو ضوابط؛ فإن  
المطاوعة لا تكون إلا فيما يُرضي الله، وهي - عندئذ - طاعة للخالق لا  
للمخلوق.

فيقول ﷺ: « لَا تَكُونُوا إِمْعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا،  
وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا،  
وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا » (1).

فليرغب الإنسان فيما يحبُّ الله ويرضى، ويُمسك نفسه عما يُغضبه  
ويُسخطه؛ فإنَّ الله قَرَنَ وعده بوعيده؛ ليكون العبدُ راجباً راهباً.  
فإن المراحل التي يَمُرُّ الإنسان بها، والمضايق التي يقع فيها، تستلزم  
أن يأخذ الإنسان من نفسه لنفسه، ومن دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، ومن الحياة قبل  
الممات؛ فإن الموتَ قادمٌ لا محالة.

« والموتُ أهونُ مما بعده، وأشدُّ مما قبله » (2).  
فإن فاتك خيرٌ فأدركه، وإن أدركك شرٌّ فاسبقه.  
واعلم أنَّ عليك من الله عيونا تراك.

(1) الترمذي: كتاب البر والصلة، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا  
الْوَجْهِ.

(2) رواه أحمد من حديث أنس (١٢٥٨٨) وإسناده ضعيف.

فاحرص - دائماً - أن تكونَ حيثُ يُحبُّ اللهُ. وأحسن كما أحسنَ اللهُ إليك، واعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. واعلم أن أطوعَ الناسِ لله أشدُّهم بُغضاً لمعصيته. وأنَّ الله يرى من باطنك ما يرى من ظاهرك، فلا تُناقِضْ، ولا تُرائي، ولا تهن.

واستعِزْ بالله ولا تضعف، وأصلِحْ نفسَكَ يُصلِحْ لك الناس. و« اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ».<sup>(1)</sup>

واحدِرْ نفسَكَ؛ فإن النفسَ أمارَةٌ. ولكل نفسٍ شهوةٌ، وإذا أعطيتها تَمَادَت. والنفسُ راغبة إذا رَغِبَتْهَا. والنفسُ كالطفلٍ إن تُهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وإن تَقَطَّمَهُ يَنْقَطِمُ وَكُنْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ؛ فَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا فَوْزَ إِلَّا بِالصِّدْقِ.

ولا تتبع الباطلَ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ عَلَى حَذَرٍ؛ حَتَّى تَسْلَمَ نَفْسَكَ مِنَ الْخُضُوعِ لِهَوَى نَفْسِكَ، أَوْ أَهْوَاءِ غَيْرِكَ، فَتَرْضِي الْخَلْقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، أَوْ تَرَكْنَ إِلَى هَوَى نَفْسِكَ وَتَتَسَيَّرْنَ رِيكَ؛ فَإِنْ مَنَّ نَسِيَّ اللَّهُ أَنْسَاهُ اللَّهُ نَفْسَهُ، فَأَسَاءَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُحْسِنُ، وَأَفْسَدَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُصْلِحَ. وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ وَالْخُسْرَانُ.

(1) الترمذي: كتاب البر والصلة، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

كُنْ مع الحقِّ لِيَتَقَلَّ ميزانُكَ « فحقُّ ميزانٍ يُوضَعُ فيه الحقُّ أن يكون ثَقِيلاً ، وحقُّ ميزانٍ يُوضَعُ فيه الباطلُ أن يكون خَفِيفاً » (1)

ولا فَلَاحَ إِلَّا لِمَن تَقَلَّتْ موازينُهُ.

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (2)

إنَّ كثيراً من الناس يُريدونكَ أن تكونَ لهم. وأهواءُ الناس متعددة، ومآربهم مختلفة.

وإرضاءُ الناس غايةٌ لا تُدرَك. ولا بُدَّ لحياءِ الناس من ميزانٍ تُوزَنُ به الأعمالُ، ومن سبيلٍ تستقيمُ معه الخُطى والمسير.

ومن فضلِ الله ورحمته - وهو أعلمُ بخلقِهِ - أن وَضَعَ الميزانَ، وَحدَّدَ السَّبيلَ، وأرسلَ الرُّسُلَ؛ ليكونوا أُسوةً للناسِ في الأخذِ بما وَضَعَ من الميزانِ وَحدَّدَ من سبيلِ.

ولكنَّ الناسَ - وهم يخضعون للهوى - يتَّبَعون سُبُلًا متعددةً، فيتفرَّقون ويبتعدون عن الصراطِ المستقيمِ، ويضلُّون السبيلَ.

وذلك ما وصَّى به عباده؛ ليتَّقوا سوءَ العاقبةِ والمصيرِ.

(1) من قول أبي بكر في وصيته لعمر - رضي الله عنهما - .

(2) الأعراف: ٨، ٩.

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ  
عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١)

فَأَفْلَحَ وَاتَّقَى مَنْ حَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ أَهْوَاءِ النَّاسِ.

وَمَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ، فَعَصَمَهَا بِحُسْنِ الْإِسْتِجَابَةِ  
لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، وَأَيَقِنُ أَنَّ لَيْسَ لِنَفْسِهِ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ، فَلَمْ يَبِيعْهَا إِلَّا بِهَا.

فَلَمْ يَجِدِ النَّاسُ عِنْدَهُ مَا يَطْمَعُونَ فِيهِ، مِنْ إِرْضَائِهِمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ.

وَمَنْ آثَرَ اللَّهَ عَلَى هَوَاهُ، لَقِيَ اللَّهَ فَرَضِي عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

إِنَّ شَهْوَةَ الْإِنْسَانِ قَدْ تُرْدِيهِ، وَرَغْبَتُهُ فِي الْمَنَافِعِ الْعَاجِلَةِ قَدْ تَدْفَعُهُ إِلَى  
إِرْضَاءِ مَنْ يَنْشُدُ مِنْهُمْ مَنَفْعَةً، أَوْ يَتَوَقَّى بِهِمْ مَضْرَّةً.

وَمَنْ أَيَقِنُ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ لَوْ اجْتَمَعُوا

عَلَى أَنْ يَنْفَعُوهُ لَمْ يَنْفَعُوهُ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَهُ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ  
يَضُرُّوهُ لَنْ يَضُرُّوهُ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ إِلَّا مَا يُرْضِي اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ -.

وَمَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، كَفَّهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الرِّغَائِبِ؛ لِثُرْدٍ إِلَى

الْمَحَامِدِ وَالْمَكَارِمِ.

قال الحسنُ البصري رحمه الله: « كان مالكُ بنُ دينار يطوف

بالبصرة في الأسواق، فينظر إلى أشياء يشتهيها، فيرجع ويقول لنفسه:

أبشيري؛ فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك عليّ. »